الأهرام

المصدر : الاهرام الدولى

التاريخ : ١٦ مارس ٢٠٠٠

# ماذا يعنى إعلان إسرائيل الانسحاب من الجنوب اللبنانى

**يتسرب إلى الهواجس العربية.. وبالتدريج .. شبه اعتقاد بحدوث تحول كبير فى نوعية الجندى المجند الإسرائيلى.. من الناحية السيكولوجية ومن ناحية التدريب والاعداد القتالى أيضا.**

د. محمود وهيب السيد

وهو اعتقاد بدأ يوقر فى الاذهان عقب ماتناقلته وسائل الانباء العالمية المختلفة.. أكثر من مرة من مواقف انسانية يائسة عبر عنها بعض من أمهات المجندين الإسرائيليين بالجنوب اللبنانى ومطالبتهن للحكومة الاسرائيلية باعفاء ابنائهن من الخدمة العسكرية هناك أو الجلاء الكامل عن الشريط اللبنانى المحتل، وأيضا ما عرف من ازدياد حالات الانتحار فى وسط هؤلاء المجندين سواء فى تلك الجبهة أو من زملاء لهم وقت ان كانوا مكلفين بالتعامل مع أبطال الحجارة، ثم كثرة حالات الفرار والتمارض خاصة لأسباب نفسية بينهم، وقد اتخذ بعض من مفكرى وكتاب العرب من ذلك قرينة على عنف وشدة تأثير المقاومة البطولية لحزب الله.. كما كان لابطال أطفال الحجارة من قبل.. ومعهم كل الحق، وأيضا.. وهو - مكمن الخطر - استدلوا منه على تبدل الحال بالجيش الاسرائيلى والذى لم يخض افراده حربا حقيقية أو يتخرطوا تحت أى تهديد جدى واسع منذ اجتياحهم لبيروت عام ١٩٨٣ .حيث تحولوا إلى جباة الدعة والرفاهية داخل معسكراتهم، وانصب اهتمامهم فقط بوسائل رغد العيش التى توفرها لهم الدولة.

وخطورة تلك الهواجس العربية أن من شأن الايمان بها وترسيخها فى الاذهان وتحولها إلى حقيقة فى العقول العربية أن تقودنا إلى نتائج خطيرة... لعل أقلها خطورة الاستهانة بالجيش الاسرائيلى ومقدرته العسكرية.. وبالتالى التأثير فى أى قرار عربى قد تضطرنا الظروف إلى اتخاذه على عكس الحقيقة..

فالثابت بالفعل أن هناك حالات للفرار أو التمارض النفسى والانتحار والمطالبات الجماعية من أمهات هؤلاء المجندين للضغط على الحكومة الاسرائيلية لسرعة انهاء معضلة الجنوب اللبنانى بعد أن انتهت مشكلة أطفال الحجارة بالضفة الغربية وقطاع غزة.. ليس بدافع التغييرات التى حدثت فى صميم تكوين وتدريب واستعداد المجندين الاسرائيليين القتالى. ولكن بفعل أثر وتداعيات طول فترة البقاء بالخنادق فى تلك الجبهة دون مهام قتالية هجومية محددة، اللهم إلا الانتظار وتوقع تلقى الضربات الآتية من المقاومة اللبنانية والتى عليها هى فقط أن تحدد من من هؤلاء المجندين الإسرائيليين عليه الدور ويكون هدفا لصواريخها الكاتيوشا، فلاول مرة تتحول استراتيجية اسرائيل العسكرية - عكس ما دربت أفرادها عليه - من الهجوم إلى الدفاع والاكتفاء بتوقى وتجنب ضربات الخصم.. ثم القيام بتوجيه ضربات انتقامية موجعة للبنانيين بواسطة الطائرات أو المدفعية بعيدة المدى. لذلك فقد أصاب جنودها مرض الخنادق المعروف لدى العسكريين، وهو المرض الذى أوجدته واستغلته بنجاح قوات الناتو ضد الصرب فى معركة كوسوفا حين أمطرتهم بوابل منهمر لاينقطع من شتى أنواع القذائف والصواريخ وبتركيز شديد ولفترة طويلة أسلمت جنود الصرب بعد ذلك لحالة من الجنون تمنوا فيها الموت أو الاستسلام المخزى للقوات المهاجمة، وقد نفذت القوات الروسية ذات التكتيك بحذافيره فى حربها مع الشيشان الاخيرة ونجحت به فيما فشلت فيه فى حربها الأولى معهم أيضا. فالتكتيك العسكرى الحديث، وبفضل طول مدى ودقة اصابة القذائف الحديثة، لم يعد يتطلب أبدا أى مواجهات عسكرية يستلزم فيها أى مقدرات قتالية خاصة لدى الجنود.

والثابت أيضا - وهو أمر لايدعونا بالمرة لليأس أو ان نكون كمن خلق وحشا غير موجود ثم تخوف منه.. بقدر ما هو دعوة للعودة للعقلانية والتقدير الصائب للاوضاع - إن الجندى الاسرائيلى جندى متعلم ومدرب ومسلح جيدا.. وهو فوق ذلك جندى يحارب وفق مزاعمه عن عقيدة متأصلة فيه - هى بالطبع خطأ - إلا أنها تشكل كل وجدانه ومعتقداته، مبعثها قيامه بدور مقدس لاسترداد أرض الميعاد لشعب الرب المختار، كما أنه جندى يقف ومن خلفه ترسانة من العتاد التقليدى والاسلحة الحديثة تفوق مالدى اكثر الدول العربية متجمعة من السلاح، ويأخذ بأحدث الأساليب التكنولوجية والتى تمكنه من استغلال ما لديه من سلاح، خاصة الصواريخ بأفضل طاقة ممكنة لها بربطها بالاقمار الصناعية مما يسمح له بدقة تصويبها أو توجيهها عن بعد ... الامر الذى يمكنه من أن يخوض حربا عنيفة وكثيفة النيران والتدمير.. عن بعد.. كما فعلت من قبل جيوش التحالف فى كوسوفا وجيش روسيا بالشيشان، وتمكنا من كسر إرادة وعزيمة جنود كانوا يصنفون من قبل فى خانة أشد الرجال بأسا.. هذا بخلاف الترسانة النووية والكيماوية التى لم تعد تخفى على أحد.

لذلك.. ومن واقع الدعوى إلى عدم الاستسلام أو الارتكان للوهم أو التخدير بالاحساس بالتفوق المعنوى الزائف على أفراد القوى الأخرى.. ومن واقع ايضا عدم تضخيم قوى الاخر واعطائه اكثر من حجمه.. ندعو إلى عدم الانسياق والرضوخ لعادة أو خصلة تضخيم الذات والعنتريات أو الفخر الزائف بما ليس لدينا. بل اعطاء الوزن والقيمة الحقيقية لمختلف القوى والاحداث وبدون حسابات خاطئة.. وهو طرح ليس فى غير موضعه أو حتى سابق لأوانه، فالمؤكد ان اسرائيل لم تتوقف أبدا قرع طبول الحرب.. تلك الطبول التى من المتوقع ان يعلو وقعها كثيرا، اذا نفذت اسرائيل تصريحاتها بالانسحاب من طرف واحد بحلول يوليو القادم من جنوب لبنان وبدون حتى اتفاق شامل للسلام واعلان عرفات قيام دولة فلسطين وعاصمتها القدس قبل نهاية هذا العام ومن طرف واحد، كما أعلن أخيرا خاصة أن ترتيبات التسوية السياسية لم تؤت ثمارها كاملة بعد... بل توقفت ولايعرف أحد لها موعدا للبداية من جديد.. فالمؤمن لايلدغ من جحر مرتين، خاصة أن بعض الاقلام العربية والاسرائيلية أيضا (راجع مقالة أرتيه أو سوليفان فى الجيروزليم بوست يوم ١٨ فبراير الماضى) .. قد تسحبنا أو تجرفنا إلى وهم الاعتقاد بما كنا نعيشه من قبل فى تلك التجربة وكانت

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية